

من حق النبات علينا

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه , واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له العزيز الجبار
الرازق الوهاب , الباري الخالق جل جلاله , واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله صفيه من خلقه وحببيه
الذي بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح الامة وكشف الغمة ودعل البشرية الى الدين القويم (ما فرطنا في
الكتاب من شيء) افلح وفاز من تمسك بكتاب الله وسنته الشريفة.

أما بعد:

لكل مخلوق في الإسلام حقوقه؛ فلإنسان حقوق, وللجنين حقوق , وللطفل حقوق و للنبات حقوق , وللحيوان ,
وللكائنات الحية الدقيقة حقوقها , وللجمادات حقوقها. وإذا لم يعط الانسان لكل ذي حق حقه فسدت العلاقات,
وتهدمت البيئات. وحديثنا اليوم عن حقوق النبات في الإسلام, وهذا يقتضي بيان الفائدة الحيوية والبيئية للنبات
ليبين فداحة وجرم إهدار حق هذا النبات.

الأهمية الحيوية والبيئية للنبات

النبات من أهم الكائنات الحية الأرضية , فلو غاب النبات غابت الحياة من عليها فالنبات هو المثبت الرئيس
للطاقة الشمسية على الكرة الأرضية , فكل نبات من بلايين البلايين من النباتات الأرضية عبارة عن مفاعل
حيوي لتثبيت الطاقة الشمسية, وهو مصدر الطاقة الرئيس على الأرض.

من هنا جعل الإسلام للنبات حقوقا في تشريعه ومن هذه الحقوق

- حقه في تمهيد الأرض واستصلاحها لزراعة النبات:
من أول حقوق النبات على الإنسان تمهيد الأرض واستصلاحها لزراعة النبات فيها , لأن البذور تنبت
في الأرض , ويثبت النبات جذوره وبعض سيقانه الأرضية وبعض ثماره فيها , ولا بد أن تكون الأرض
صالحة لزراعة النبات ونموه وإنتاجه من هنا كان الهدي النبوي أن من أحيا أرضا فهي له. وفي هذا
حث على استصلاح الأرض وزراعتها وإحيائها بالماء بتوصيله إليها , وحفر الآبار , وشق الأنهار
والترع والمصارف والمساقى وإنشاء الطرق المؤدية إليها .كما أقطع الخلفاء الراشدون والولاة المسلمون
الأرض البور لاستصلاحها وزراعتها.
فقد روى أبو عبيده عن بلال بن الحارث المزني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقطعه أرضاً في
المدينة فلما كان زمان عمر قال لبلال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجزه عن الناس
وإنما أقطعك لتعمل , فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقي, وفي هذا حماية لحقوق النبات في
الإنبات والنمو والإثمار والرعاية والتكاثر والاستمرار في الحياة .
- الحث على غرس النبات:

حمى الإسلام حق النبات في الغرس وجعل ذلك قربة إلى الله تعالى ، قال صلى الله عليه وسلم: ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة (رواه البخاري)، وهذا الحديث يرغبنا في تعمير الأرض بغرس الأشجار وزرع المزروعات وقال صلى الله عليه وسلم: إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرستها فليغرستها (رواه البخاري) في مفرده والإمام أحمد في مسنده.

روى أن رجلاً مر بأبي الدرداء رضي الله عنه وهو يغرس جوزة فقال: أتغرس هذه وأنت شيخ كبير وهي لا تثمر إلا في كذا وكذا عاماً . فقال أبو الدرداء: ما علي أن يكون لي أجرها ويأكل منها غيري؟ وكان عمر الخليفة يساعد الرعية في غرس الأشجار ، قال عمر بن الخطاب لخزيمة ابن ثابت : ما يمنعك أن تغرس أرضك ؟ فقال: أنا شيخ كبير أموت غدا ، فقال عمر: أعزم عليك لتغرسنها، وقام عمر وغرس الأرض مع صاحبها.

• حق النبات في الحماية:

فقد حمى الإسلام النبات من الهلاك بالحيوان والإنسان والإفساد في الأرض ولذلك نص الفقه الإسلامي على أن صاحب الحيوان ضامن إذا خرجت حيواناته ليلاً وأهلكت زرع أحد لأن عليه حماية حيواناته من الخروج ليلاً، كما جعل صاحب الزرع مسؤولاً عن زرعه نهاراً فعليه حراسته، وإذا اعتدت عليه الحيوانات فهو الضامن لنباته، وفي هذه حماية للنبات المزروع من الهلاك والرعي الجائر والتخريب بالليل والنهار. منع الإسلام الحجيج من قطع نبات الحرم أو إتلافه وفي هذا حفاظ على النبات من الإتلاف بالأعداد الكبيرة من الناس في مكان الحرم.

وأوصى أبو بكر قائد جيش الشام بقوله : لا تقتل صبيلاً ، ولا امرأة ، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاه ولا بعيراً إلا لمأكله ولا تغرقن نخلاً ولا تحرقه. وفي هذا أيضاً حماية للأشجار المثمرة والنخيل والزرع من الهلاك أثناء الحرب والهرج والمرج، وهذه حماية لم تكفلها القوانين الوضعية ولا الدول المتقدمة. ويتضح من تلك الوصية دعوة الإسلام للحفاظ على الحياة البرية من نبات وحيوان وطيور وبهذا فإنها تمثل تشريعاً متقدماً للمحاربين في أسلوب الحفاظ على البيئة من الإتلاف والتدمير والقطع والحرق والقتل، الأمر الذي يدل على عظمة الإسلام وسموه ورقبه على التشريعات الأخرى في حماية البيئة والطبيعة. كما منع الإسلام الإفساد في الأرض بعد إصلاحها ، ومن الإفساد التلوث البيئي الذي أهلك التربة والنبات والماء فحرم النبات من حقه في بيئة نظيفة ، وفي هذا إقرار في حمايته من الهلاك بالتلوث البيئي.

• حق النبات في الرعاية:

لم يعط الإسلام النبات حقه في الحماية فقط بل أقر حقه في الرعاية من حيث الري والتلقيح فقد مر النبي صلى الله عليه وسلم بالأنصار وهم يلحقون نخيلهم ، فسألهم ماذا يفعلون فأخبروه فلم ير ضرورة لهذا الأمر وظنه الأنصار أمراً دينياً فتركوا التلقيح فخرج الثمر رديئاً غير صالح ، فلما سأله قالوا له : أنت أشرت علينا بتركه فقال لهم: إنما ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن أنتم أعلم بأمور دنياكم.

• حق النبات في الدراسة:

دلت الآيات القرآنية الكثيرة على أهمية دراسة النبات قال تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ [الأنعام 99]. والنظر هنا نظر ملاحظة منظمة ودراسة علمية موثقة.

• حق النبات في استغلال منتوجاته:

خلق الله الكائنات الحية لغاية مقدره ولصالح الإنسان وعلى الإنسان أن يستغل هذه النعم، وفي استغلال هذه النعم حماية لحق النعمة ومن هذه الحقوق حق النبات في استغلال منتوجاته. قال تعالى: والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ق 10-11. وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون [الرعد 4] .

قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة بيت بلا تمر جياح أهله، أوجاع أهله، قالها مرتين أو ثلاثة (جزء من حديث رواه مسلم). قال صلى الله عليه وسلم: كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة (رواه الترمذي).

قال تعالى: ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون [النحل 67]. والآيات والأحاديث في هذا الموضوع كثيرة وكلها تقرر حق النبات في النفع به والاستخدام.

• حق النبات في بيان جماله: فالحق في جمال النبات من الحقوق المقررة في الإسلام قال تعالى: أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبئتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنتبوا شجرها أعله مع الله بل هم قوم يعدلون [النمل 60].

تقرر هذه الآية حق النبات في بيان بهجته وجماله والتفكير في ذلك فقد تحدى الله من يجعلون مع الله آلهة سواء كانت أصناماً، أو أناساً، أو ظواهر كونية أن يستطيعوا إنبات بذرة واحدة أو حبة واحدة من بلايين البذور والحبوب التي تنبت كل لحيفة على الأرض لتغطي الأشجار والحدائق ذات البهجة والرونق قال تعالى: والنخل باسقات لها طلع نضيد [ق 10].

قال صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمن كشجرة لايتحات (أي لايسقط) ورقها جزء من حديث أخرجه الشيخان، وفي الحديث: مثل المؤمن الذي يحفظ القرآن ولا يعمل به كمثل الثمرة طعمها حلو ولا رائحة لها.

• حق النبات في بيئة أرضية نظيفة:

فالدعوة الواردة في الآية السابقة المؤدية إلى عدم الإفساد في الأرض تحفظ حق النبات في البيئة الأرضية النظيفة.

كما حذرنا صلى الله عليه وسلم من قضاء الحاجة (التبول والتبرز) تحت الأشجار وأماكن ظلها وسقوط ثمارها، وعد ذلك من الملائن التي توجب لعنة المسلمين عل فعلها فقال: اتقوا اللعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل (رواه أبو داود).

• حق النبات في مورد ماء دائم: فكما نعلم فإن حياة النبات ترتبط بوجود الماء، وغياب الماء معناه غياب النبات وهلاكه قال تعالى: والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعاً لكم ولأنعامكم (النازعات 30 - 33).

• حق النبات في الحياة: ففي الحفاظ على الماء حفظ لحق النبات في الحياة، وإحياء الموت حفظ لحق النبات في الحياة، وعدم الإفساد في الأرض حفظ لحق النبات في الحياة.

• حق النبات في إخراج زكاته: من حقوق النبات إخراج زكاته وإعطاء الفقراء منه حتى يبارك الله فيه ويحميه من الهلاك قال تعالى: كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده [الأنعام 141].

كذلك قال الله تعالى فيمن منع حق الفقير قال تعالى: إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون. فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون [القلم 17-19]. فهؤلاء القوم عندما منعوا حق الفقراء في انتاج الجنة أهلها الله وحرهم منها.

• حق النبات في الحماية من الشرك والظلم:

فقد علم الإسلام الإنسان كيف يتعامل مع النبات ليحفظه من الهلاك قال تعالى: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا. فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً، أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا. وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً [الكهف 39 - 42]. وفي هذا حق لحماية النبات من الإضرار بالله، وإسناد إنباته وإثماره وحياته لغير الله، وفي هذا حفظ لحق النبات في الاستمرار بالحياة، والحماية من الشرك بالله والظلم البشري.

الخطبة الثانية :

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب اليه , واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له العزيز الجبار الرازق الوهاب , البارئ الخالق جل جلاله , واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله صفيه من خلقه وحبيبه الذي بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح الامة وكشف الغمة ودعا البشرية الى الدين القويم (ما فرطنا في الكتاب من شيء) افلح وفاز من تمسك بكتاب الله وسنته الشريفة.

ومن اجل ما جاء به الإسلام في علاقة الإنسان بالبيئة وبالكون عامة من حوله : إنشاء عاطفة الود والحب لما حول الإنسان من كائنات جامدة أو حية , فالأحياء من الدواب والطيور يراها أمما أمثالنا , لكل امة خصائصها وطرائقها , كما نبه على ذلك القرآن الكريم بقوله: وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم [الأنعام 38].

وغير الاحياء من الكائنات يراها ساجدة مسبحة لله تعالى, كما قال تعالى: الم تر ان الله يسجد له من في السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس [الحج 18]. وقال سبحانه: تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم [الإسراء 44].

فلا عجب أن يضمم لهذه الكائنات الساجدة لله: الود والحب , لأنها تعبد الله تعالى , كما يعبد هو . وقد عبر النبي عن هذا الود وهذا الأتس بهذه المخلوقات بهذا الحديث الرائع الذي قاله وهو عائد إلى المدينة من غزو تبوك, وقد اشرف على المدينة, ولاح له جبل احد, فقال: هذه طابة, وهذا احد, جبل يحبنا ونحبه. هذا مع أن هذا الجبل وقعت بجواره غزوة احد, التي استشهد فيها سبعون من المسلمين , على رأسهم عنه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله, وربما لو كان احد غيره لتشاءم من هذا الجبل, ولكنه عبر عن عاطفته نحوه بهذه الجملة المبينة الرائعة: يحبنا ونحبه فكأنما جعل من الجبل كائنا حيا عاقلا له قلب يحس ويحب, فلم يكتف بانه يحب احدا, بل قال عن الجبل (يحبنا) فما أجملها وأصدقها من علاقة.

فأى انس بالبيئة , وأى ايناس لها أوضح مما دل عليه هذا التعبير النبوي الجميل.

وكان الصحابة رضي الله عنهم , يتعاملون مع البيئة بهذا الود والحنين , كما نرى في حنين بلال إلى مكة وأوديتها ومياها وجبالها ونباتها , وشوقه إليها.

وكل هذه الأشياء في مكة كون هذا الصحابي الجليل عاطفة نحوها كأنها عاطفة المحب العاشق لمن يهواه.

الوعيد على قتل عصفور عبثاً:

وأكدت السنة الأمر بالمحافظة على الموارد بأساليب شتى من الترغيب والترهيب.

من ذلك قوله: من قتل عصفور عبثاً, عجز إلى الله يوم القيامة, يقول: يا رب إن فلانا قتلني عبثاً, ولم يقتلني منفعة.

ما من مسلم يقتل عصفوراً فما فوقها, بغير حقها, إلا يسأل الله عز وجل عنها. قيل يا رسول الله, وما حقها؟ قال: أن يذبحها فيأكلها , ولا يقطع رأسها ويرمي بها.

والحديثان يدلان دلالة قوية على احترام كل ذي روح من الطير والحيوان, ومنع قتله لغير حاجة ولا منفعة معتبرة, كما يرشدان إلى المحافظة على موارد الثروة, وعدم تبديدها باللهو والعبث, أي لغير منفعة اقتصادية. بالإضافة الى ما يدل عليه الحديثان من المحافظة على البيئة بكل ما فيها من الكائنات الحية, التي أصبح التقدم التكنولوجي خطراً عليها.

الحفاظ على الحيوانات من العدوى:

ومن التوجيهات النبوية حديث: لا يوردن ممرض على مصح.

والممرض: صاحب الإبل المريضة بداية الجرب والمصح صاحب الإبل الصحيحة السليمة , فعندما تورد الإبل السليمة فتحتك بها فتعديها, وهذا توجيه لوقايتها من المرض, فإذا أصيبت, فيجب ان تعالج حفاظاً عليها, باعتبارها كائناً حياً من ناحية, وباعتبارها ملا نامياً من ناحية أخرى, ولا يتم هذا الواجب الا بطبيب بيطري متخصص فهو مطلوب شرعاً.

اياك والخلوب:

ومن روائع ما ورد في السنة في المحافظة على الموارد : قول النبي ﷺ لمضيفه الأنصاري الذي أراد إكرامه بذبح شاة : اياك والخلوب.

قال حينما اخذ الرجل المدينة ومضى يذبح.

ومعنى الحديث: انه عليه الصلاة والسلام نهى المضيف ان يعمد الى شاة ينتفع بدورها ولبنها , لأنها خلوب, فيذبحها, فيخسر درها وجليبها, ويخسرهما معه في المجتمع, ويغني عنها الشاة اخرى غير خلوب.

الانتفاع بجلد الميتة:

وأكثر من ذلك قوله لأصحابه , وقد رأى شاه ميتة: لمن هذه الشاة! قالوا إنها شاه لمولاة ميمونة – أم المؤمنين – قال: هلا انتفعتم بجلدها! قالوا: إنها ميتة, قال: إنما حرم أكلها.
فهو ينبههم على الاستفادة بجلد الشاة – فروتها – بان يدبغ فيطهر الدباغ, وينتفع به.

الحفاظ على الأجناس الحية من الانقراض:

ومن التعاليم التي جاء بها الإسلام في المحافظة على البيئة, ما سبق زمانه, حتى المرء في عصرنا ليدهش له, وهو المحافظة على أجناس المخلوقات الحية من الفناء والانقراض , فان الله تعالى لم يخلقها إلا لحكمة, علمها من علمها, وجهلها من جهلها.

لو أن الكلاب امة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها الأسود البهيم

فهذا الحديث النبوي الشريف يشير الى حقيقة كونية قررها القرآن الكريم, وهي ان الكائنات الحية الأخرى – غير عاقلة – لها كونيتها الاجتماعية الخاصة, التي تميزها عن غيرها , وترتبط بعضها ببعض. وبتعبير القرآن: كل منها امة مثلنا. يقول تبارك وتعالى: وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحية إلا أمة أمثالكم ما فرطنا في الكتاب بشيء [الأنعام 38].

فأمة النمل غير امة النحل, غير امة العنكبوت. وأمة الكلاب غير امة السنانير, غير امة أبناء أوى.

وما دامت امة, فلا ينبغي ان تستأصل, لان هذا ينافي حكمة الله سبحانه في خلقها, فان الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً.

ولا غرو ان جاء هذا الحديث النبوي الشريف في شان الكلاب, برغم تاذي بعض الناس منها أو من بعض أنواعها على الأقل, فربما خطر ببال بعض الناس ان يجرّدوا حملة للقضاء عليها والخلص منها, فلا تبقى لها من باقية. فجاء هذا الحديث ينفي هذه الخاطر, ويعارض هذا اللون من التفكير, معللاً بهذه العلة التي تعلق على منطق العصر الذي قيل في الحديث, لولا أن قائله لا ينطق عن الهوى: إن هو إلا وحي يوحى [النجم 4].